جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللّغة العربيّة

# شعر البحتريّ دراسة لسانية

أطروحة مقدمة إلى
مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه
في فلسفة اللّغة العربية وآدابها

من الطالبة
نادية حسين حميد

بإشراف
أ.د. محمد صالح ياسين

١٤٤٧هـ ٢٠٢٦م

# التمهيد

# اللسانيات التداولية

# في نظرة الدارسين المحدثين

## اللسانيات التداولية

### مفهوم اللسانيات:

تُعدُّ اللسانياتُ العلم ((الذي يدرس اللّغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع، بعيدًا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية))[١]. وتتصف اللسانيات بالاستقلالية؛ وهذا ما يؤكد علميتها، في حين أَنَّ النحو التقليدي كان يتصل بالفلسفة والمنطق، وتُعنى اللسانيات باللغة المنطوقة قبل المكتوبة، وباللهجات، ولا تفضل الفصحى عليها، خلاف لعلوم اللّغة التقليدية، وتهدف اللسانيات إِلى إنشاء نظرية لسانية، تتصف بالشمولية؛ على أساس دراسة مختلف اللّغات ووصفها، وتدرس اللسانيات اللّغة ككل متكامل، وذلك ضمن تسلسل متدرج من المستوى الصوتي إِلى المستوى الدلالي، مرورًا بالمستويين الصرفي والنحوي[٢].

بعد أن وضع فرديناند دي سوسير أسس اللسانيات في بداية القرن العشرين والانتشار الواسع لمفاهيمها الأساسية، باتت البنيوية اللسانية المرجع الأساسي في كل الدراسات اللغوية، وأصبح النقد الأدبي مدينا لها بالشيء الكثير، لكن إذا كانت اللسانيات علما حدد مفاهيمه، ووضع أطرًا ثابتة يقتدى بها، فإن الفكر البشري لا يتوقف عند حدود معرفية مهما بلغت من الكمال؛ فقد شهدت دراسة اللغة تطورًا في ظل المناهج المختلفة؛ إذ انتقلت من علم اللغة الذي يكاد يخلص للنظام اللغوي من سوسير إلى تشومسكي) إلى علم لغة يركز على الاتحاد الاتصالي والوظيفي والتداولي الذي يعد من أحدث الاتجاهات اللغوية التي ظهرت وازدهرت على ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر[٣].

---

(١) مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور: ١٦.

(٢) ينظر: محاضرات في الألسنة العامة، دي سوسير: ٢٤.

(٣) ينظر: فلسفة اللّغة، سيلفان أورو وجاك ديشان وجمال كولوغي: ٧-٨.

ولعل أَبرز عامل في ظهور البراغماتية اللسانية يرجع إلى ظهور تيار (الفلسفة التحليلية)، الذي نَشَأَ في العقد الثاني من القرن العشرين في النمسا، على يد الفيلسوف الألماني (غوتلوب فريجة)؛ إذ كانت دروسه في الجامعة الألمانية موردًا لطلاب الفلسفة والمنطق، ويعدّ الاتجاه التحليلي في الفلسفة هو الاتجاه الرئيس والغالب في فلسفة اللّغة، وفي الفلسفة المعاصرة، أَمَّا القيمة الفلسفية لما جاء به (فريجة) فهي ثمنية في نظر بعض فلاسفة اللّغة؛ بل ما طرحه يمثل عندهم ثورة أو انقلابا فلسفيا جديدا، فالجدير يتمثل في رؤيته الدلالية، خصوصا تمييزه بين اسم العلم والاسم المحمول وبين المعنى والمرجع محدثا قطيعة معرفية ومنهجية بين الفلسفتين القديمة والحديثة، كما ربط بين مفهومين تداوليين هامين، هما الإحالية والاقتضاء ولا شك في أن ذلك من نتائج اعتماد "التحليل" منهجا فلسفيا جديدا.

وسار على درب غوتلوب فريجه الفيلسوف النمساوي لودفيغ فيتغنشتاين "١٨٨٩-١٩٥١) منتقدا مبادئ الوضعانية المنطقية (Wittgenstein) ومؤسسًا اتجاهًا جديدًا سماه فلسفة اللغة العادية، وقوامها الحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في كلام الرجل الإنسان العادي، وأهم ما يميز فلسفة فيتغنشتاين التحليلية بحثه في المعنى وذهابه إلى أن المعنى ليس ثابتا ولا محددا ودعوته إلى عادي البحث في المعنى المنطقى الصارم. وقد تأثر بالتجديد الفلسفي الذي جاء به ريجه عدد من الفلاسفة منهم هوسرل، وكارناب، وسيرل، وأوستين، وفيتغنشتاين، حيز الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجة بين مقولتين لغويتين متباينتين مفهوميًا ووظيفيًا، وهذا التمييز من اكتشافات المنطق الحديث؛ لأَنَّ أرسطو على الرغم من أنه عرف هذا التمييز كان يخلط بين القضية وغير الحملية، فقد بين (فريجة) أَنَّ الوظيفة الأساسية لاسم العلم هي إشارته إلى شيء فردي معين، بينما الأساسية للمحمول هي دلالته على تصور أي مجموع الخصائص التي تسند إلى اسم العلم أو بعضها؛ فألفاظ (كُلّ وبعض) ليس لها معنى حقيقي إذا دخلت على علم بل قد تفسد معناه، وإذا دخلت على محمول أفادت ديدا،

فالعلم لا يقبل الكلية أو التبعيض على الحقيقة كُلّ محمد بعض محمد، أما المحمول يظل ذا معنى ت عليه الأسوار مثل كل متعلم، كل موظف بعض الناس(١).

وتجمع بين هؤلاء الفلاسفة مسلمة عامة مشتركة مفادها: أن فهم الإنسان لذاته والعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة.

ويمكن أن تحمل مفهوم "الفلسفة التحليلية" في جملة من المطالب والاهتمامات تتلخص في ثلاثة(٢):

١. "ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفي القديم وخصوصا جانبه الميتافيزيقي.
٢. تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع "نظرية المعرفة" إلى موضوع "التحليل اللغوي".
٣. **تجديد وتعميق بعض المباحث اللغوية ولاسيما مبحث "الدلالة" والظواهر المتفرعة منهُ.**

هذا وقد انقسمت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة فروع أو اتجاهات كبرى هي:

- الوضعانية المنطقية بزعامة رودولف كارناب).
- الظاهراتية اللغوية بزعامة (ارموند هوسرل).
- فلسفة اللغة العادية بزعامة فيتغنشتاين).

## علاقتها باللسانيات واللسانيات البنيوية

يشترك الدارسون في قولهم: إنَّ التداولية تُعنى بالكلام الذي هو غير اللسان وبحسب فردينان دو سوسير اللغة تختلف عن الكلام في أَنَّها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة. فاللسانيات البنيوية تُعنى أساسًا بدراسة نظام اللغة من دون الاعتداد بنوايا المتكلم وسياق التلفظ؛ ما جعل البعض تعد التداولية: "لسانيات الكلام" مقابل لسانيات اللغة"، وهذا ما قد يحصر حدود التداولية ويقوض كثيرًا من متداداتها، فضلًا عن أَنَّ

---

(١) ينظر: التداولية عند العلم: ١٩-١٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢١.

الكلام غير معزول عن اللغة إلَّا افتراضًا فهو مظهر من ظاهر تحققها ودراسته هي دراسة الواقع الفعلي للغة، والتداخل واضح بينهما، هناك من يرى أَنَّ التداولية تتموقع خارج النظرية اللسانية بناء على ما قدمه ومسكي في مفهوم الكفاءة والأداء مثل فرانسوا لا ترافارس" والذي اعترف صعوبة التمييز بينهما، ونرى هذه الحيرة عند "جاك موشلر وآن ريبول" في قولهما ين تخبر زملاءنا اللسانيين بأننا "تداوليون" فعادة ما نثير لديهم صمتا دالا ! فبأي يمكن للتداولي إذن أن يعنى؟ أهو لساني أم فيلسوف أم عالم نفس"، وسبب الأسئلة في نظرهما يرجع إلى ما ذكرناه من تركيز النظريات اللسانية على دراسة النظام (الصوتية، والصرف والتركيب، والدلالة وعدم إعطاء الاهتمام والعناية) [١]، لاستعمال النظام اللغوي، أما السبب الثاني فهو عجز اللسانيين عن تحديد ميدان التداولية في مقابل فروع اللسانيات الأخرى[٢].

ويمكن تلخيص مهمة اللسانيات في دراسة طرق التنظيم بين مجموع الأصوات ومجموع المعاني بين الشكل والمعنى بتعبير أوجز، ولكن البعد التداولي في دراسة اللغة يتجاوز منوال الشكل والمعنى إلى مجالات أخرى لا يحكمها هذا المنوال بين الشكل والمعنى إلى مجالات أُخرى الملفوظية والحجاج ومظاهر الاستدلال في اللغة والتضمين والاقتضاء وغيرها، حيث تحكم هذه الموضوعات حالات خاصة ومقتضيات تجعلها متجاوزة لوصف على شكلها بمعناها[٣].

ويرى الدكتور مسعود صحراوي أن التداولية ليست مكونا من مكونات اللسانيات البنيوية لأن التداولية ليست هي المرحلة الأخيرة للتحلي اللساني، وليست نظرية للخطاب، كما أن اللسانيات نظرية للجملة، فتقابلها أو تكملها؛ بل هي أداة لتبس

---

(١) ينظر: خليفة بوجادي في اللسانيات التداولية: ١٢٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: القاموس الموسوعي للتداولية: ٢٣.

اللسانيات، فالظواهر التي تدرسها التداولية ليست مهملة ولا متروكة بالضرورة[١]، تقوم بإزالة الغموض عن عناصر التواصل اللغوي وشرح طرق الاستدلال ومن الملفوظات[٢].

**علاقتها بعلم الدلالة**

إنَّ علاقة التداولية بعلم الدلالة التي هي فرع من فروع علم اللسان الحديث يشوبها كثير من الغموض، فهي تتداخل مع علم الدلالة في معرفة المعاني الحرفية والمعاني السياقية وهما وإن اشتركا في الموضوع (دراسة المعنى) فقد يختلفان في العناية ببعض مستوياته، هذا ويصنف علماء اللغة علم الدلالة ضمن القدرة (معرفة اللغة) ويصنفون التداولية ضمن الأداء أو الانجاز (استعمال اللّغة)[٣].

وإذا كانت التداولية تربط المعنى بالاستخدام وتحدد ما يسمح بنجاح الملفوظ أو إخفاقه فهذه نقطة تنفصل فيها التداولية عن علم الدلالة، لأن استخدام المعنى مختلف عن المعنى[٤].

## مفهوم التداولية ونشأتها:

- **مفهوم التداولية:**

من الصعب الحديث عن التداولية لأن هذا التعبير يعطيه العديد من التيارات من علوم مختلفة عددا من الافكار[٥]، فأن معظمهم يقر بأن قضية التداولية هي إيجاد قوانين للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي وتصير ((التداولية)) من ثم جديرة بأن تسمى علم الاستعمال اللغوي[٦].

---

(١) في اللسانيات التداولية: ١٢٦.

(٢) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: ٢٧-٢٨.

(٣) ينظر: اللّغة والمعنى والسياق: ٣٢

(٤) ينظر: في اللسانيات التداولية: ١٢٩.

(٥) ينظر: التداولية: ٥٢.

(٦) ينظر: التداولية عند العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية): ١٦-١٧.

أ- لغة: عند ابن فارس (٣٩٥هـ): ((دول)) الدال والواو اللام أصلان يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدل على ضعف واسترخاء، فَأَمَّا الأَوَّل؛ فقال أهل اللغة: اندال القوم إذا تحولوا من مكان إلى مكان. ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض[١]، أورد الزمخشري (ت٥٣٨هـ): دول: دالت له الدولة. ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بنى فلان من عدوهم جعل الكره لهم عليه وأديل المشركون يوم أحد... والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليه... عليهم... وتداولوا الشيء بينهم، والماشي يداول بين قدميه يراوح بينهما، تقول دواليك أي دالت لك الدولة كره بعد كره[٢]. وعرفها ابن منظور (ت٧١١هـ) فقد عرفها: ((وتداولنا الأمر: أخذناه بالدول، قالوا: دواليك أي مداولة على الأمر قال سيبويه وأن شئت حملته على أنه وقع في هذه الحال. ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس. وتداولته الأيدي. أخذته هذه مرة وهذه مرة))[٣].

من خلال التعريفات اللغوية الثلاثة للتداولية هو من الجذر دول والذي يعني الانتقال من الى حال، أو من مكان إلى آخر. وقد ورد هذا الجذر في القرآن الكريم في عدة مواضيع تذكر منها: قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران:١٤٠].

**ب- اصطلاحا:**

**عند الغرب:**

يرجع الفضل في ظهور التداولية كمنهج ونظرية للفيلسوف الإنجليزي أوستين (١٩١١-١٩٦٠م) فهي – جزء من الدراسة علم أعم هي دراسة التعامل اللغوي من

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٣١٤/٢.

(٢) ينظر: أساس البلاغة: ٣٠٣.

(٣) لسان العرب: ٢٥٢/١١.

حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي، فهو هنا ينتقل من المستوى اللغوي والنحوي والنفسي إلى المستوى الاجتماعي ودائرة التأثير والتأثر، من خلال استعمال اللغة لتحقيق التواصل(١).

يقول كذلك ((جورج يول ١٨٧١-١٩٥١م: تختص التداولية بدراسة المعنى كما يوصله (المتكلم أو الكاتب) ويفسره المستمع أو القارئ، لذا فإنها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطهم بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ المنفصلة، التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم(٢).

يقول فليب بلا نشيه: ((التداولية هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية وهي كذلك الدراسة التي تعني باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين المعايير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحديثة والبشرية))(٣).

فالتداولية تعنى بدراسة اللغة أثناء الاستعمال التواصلي من طريق ما يحققه المتكلم والسامع، فهي دراسة مقاصد المتكلم ويفهمها السامع من خلال عبارات إبلاغية وتعبيرية من طريق وظيفة التأثيرية وانجاز فعل معين.

إذن ان التداولية تعمل على دراسة المعنى من جهة المتكلم أو السامع أو السياق أو العوامل المادية والاجتماعية، فهي تركز على المعني السياقي.

-عند العرب:

وقد عرفها محمود احمد نحله : التداولية فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم، أو هو دراسة معنى المتكلم فقول القائل (أنا عطشان) مثلا قد يعنى (أحضر لي كوبا من الماء)، وليس من هو معنى المتكلم (٤).

---

(١) التداولية وتحليل الخطاب الأدبي: ١١.

(٢) ينظر: التداولية: ١٩.

(٣) التداولية من أوستن إلى غوفمان: ١٨.

(٤) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٢.

ويرى الدكتور طه عبد الرحمن أَنَّ التداولية: ((وهي الدراسات التي تختص بوصف – وإن أمكن بتفسير – العلاقات التي تجمع بين الدوال الطبيعية ومدلولاتها وبين الدالين بها))(١).

يقول كذلك عبد الهادي بن ظافر الشهري، كما عرف التداولية: ((من جهة نظر المرسل، بأنها كيفية إدراك المعايير والمبادئ التي توجهه عند أنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية، في ضوء عناصر السياق، بما يكفل له ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده، وتحقيق هدفه))(٢).

من خلال ما لاحظناه حول التعريفات بخصوص التداولية تدور كلها حول اللغة عند الاستعمال الذي يستجيب له المتكلم والمتلقي، تتجلى في استعمال اللغة إلى هدف إبلاغ الرسالة أو الخطاب الى المخاطب، والتأثير عليه في ضمن العناصر التفاعلية في السياق. فالسامع اثناءوظيفته الإنجازية يقوم بفعل معين، يكون إليه معنى.

ويشير اليها بهاء الدين محمد في ((كتابه تبسيط التداولية)) وهي دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية، وهي تتمثل في: دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها. ونقصد بها، في ظروف ومواقف معينه، لا كما نجدها القواميس والمعاجم، ولا كما تقترح كتب النحو التقليدي، مثلا كلمة شكرا)) تفيد عرفان الإحسان، والسياق هو الذي يحدد المعنى(٣).

ان الناظر لمفهوم التداولية في العالم العربي أن مفهوم عرف ترجمات كثيرة، يترجم مصطلح بعدة كلمات باللغة العربية فهناك الذرائعية، والتداولية والبراكماتية، والوظيفية والاستعمالية، والتخاطبية والنفعية، والتبادلية، وكذلك العملانية والماجريات(٤).

---

(١) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٢٨.

(٢) استراتيجيات الخطاب (المقاربة اللغوية التداولية): ٢٢.

(٣) من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي (بتنشيط التداولية): ١٨.

(٤) التداوليات وتحليل الخطاب: ٥.

**٢) نشأة التداولية:**

يمكن القول: إنَّ نشأة التداولية عند الغرب كانت على يد الفلاسفة التحليليين، وأن لم يطلق عليها التداولية هذا المصطلح الحديث.

لقد ظهر هذا المذهب التداولي بصورة علمية على يد تشارلز بيرس (١٨٣٩ (١٩١٤م)، وكان طبيعيًا، في فبيرس كان مختصًا بالعمل السيميائي ولذا قام بدور واضح في المقاربة التداولية ويذكر أنه كتب مقالا في بوبيولار، سانيس موضوعه: كيف نوضح تفكيرنا بين فيه أساس الفلسفة التداولية(١).

يرى بيرس أن الاصطلاح هو الاسم الذي يعود به الشيء، والمدلول هو الشيء ذاته فالأول منهما حق عندما يكون لمدلوله وجود حقيقي الأول والثاني حقيقي، ثم تبعه وليام جيمس (١٨٤٢-١٩١٠)؛ إذ وجه النقد بيرس، وخرج بنظرية جديدة في التداولية.

فضلًا عن أَنَّ اعمال فريجه، ستؤدي إلى الفصل الواضح للغة العلمية عن اللغة العادية، فالأول ضرورية في البرهنة الحسابية ويجب أن تكون أحادية المعنى صريحة، وليس لها من هدف سوى وضع حقيقة، أما اللغة العادية، ويجب أن تكون أحادية المعني صريحة، وليس لها من هدف سوى وضع حقيقة أم اللغة العادية، فيجب أن تكون متعددة المعاني كي تتمتع بثراء الممكنات التي تهيئ لها تأدية وظائفها تواصلية(٢).

وقد اقتفى الفيلسوف النمساوي (لود فيغ فيتغنشتاين) أثر فريجة، فانتقد مبادئ الوضعائية المنطقية، وأسس اتجاهًا فلسفيًا جديدًا، أسماه فلسفة اللغة العادية، وقوامها الحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في كلام الرجل العادي أهم ما يميز فلسفة

---

(١) ينظر: الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث: ٧-٨.

(٢) ينظر: التداولية من اوستن الى غوفمان ٣٠

فيتغنشتاين التحليلية في المعنى ونهاية إلى المعنى ليس ثابتًا ولا محددًا، ودعوته إلى تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم(١).

وقد تأثرت بالتجديد الفلسفة الذي جاء بها فريجة (١٨٤٨-١٩٢٥) عدد من الفلاسفة منهم هوسرل (١٨٥٩-١٩٣٨) وكارتاب (١٨٩١-١٩٧٠)، وفيتغنشتاين، وأوستين، وسيرل وغيرهم. تجمع بين هؤلاء الفلاسفة مسلمة عامة مشتركة مفادها أن فهم الإنسان من لذاته ولعالمه يرتكز في المقام الأول على اللغة، فهي التي تعبر له عن الفهم. تلك رؤية مشتركة بين جميع تيارات الفلسفة التحليلية واتجاهاتها، ذلك أَنَّ فلسفة عصرنا، خلافا للعصور السابقة باختصار، نجمل مفهوم الفلسفة التحليلية في جملة من المطالب والعينات تتلخص في ثلاث نقاط وهي:

- ضرورة التخلي عن أسلوب البحث الفلسفة القديم وخصوصًا جانبه الميتافيزيقي.
- تغير بؤرة الاهتمام الفلسفي من موضوع نظرية المعرفة إلى موضوع تحليل اللغوي.
- تجديد تعميق بعض المباحث اللغوية ولاسيما مبحث (الدلالة)(٢) والظواهر اللغوية المتفرعة عنه.

هذا وقد انقسمت الفلسفة التحليلية على ثلاثة فروع أو اتجاهات كبرى هي:

- الوضعية المنطقية، بزعامة رودلف كارتاب.
- الظاهراتية اللغوية، بزعامة ادموند هرسول
- وفلسفة اللغة العادية بزعامة فيتغنشتاين.

إلا أَنَّ هذه التيارات الثلاثة ليست كلها ذات منهج وظيفي تداولي في دراسة اللغة، فقد خرج التياران الأول والثاني عن التداولية بسبب اهتمام الأول باللغات الصورية المصطنعة بديلًا عن اللغات الطبيعية(٣).

---

(١) ينظر: التداولية عند العرب: ٢٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢.

أَمَّا التيار الثالث الذي يتمثل فلسفة اللغة العادية الذي أسسه الفيلسوف فيتغنشتاين ومادته هي اللغة، فكان يرى أَنَّ جميع مشكلات الفلسفة تحل باللغة، فاللغة هي المفتاح السحري الذي يفتح مغاليق الفلسفة بل كان يعتقد أن الخلافات والتناقضات المنتشرة بين الفلاسفة سببها الأساسي سوء فهم اللغة أو إهمالهم لها، ومراعاة للجانب الاستعمالي في اللغة، فالاستعمال هو الذي يكسب تعليم اللغة واستعمالها(١).

لم يكن العرب تابعين للغرب في مجال الدراسات التداولية، وإنما كان لهم مجال الريادة والسبق، فقد أخذوا يحللون الأساليب اللغوية وتوصلوا إلى نظرية المقاماتية أو المقام لأن الكلام مختلف من شخص لآخر، بل يختلف من الشخص نفسه إذا تغير حاله وحال من يتلقى منه الكلام؛ لِأَنَّها ترجع إلى الدراسات التنظيرية الأولى مثل: عند الجاحظ، وابي هلال العسكري، وابن قتيبة، وحازم القرطاجي وغيرهم، وهي برغم ذلك مرتبطة بالأثر والمقام. يقول الدكتور بوقرة: (( ولما كان العرب دينيه بطبعها، ولأن الرسالة الدينية نصية في شكلها اسست لكيفية استثمار المقولات الدينية في الحياة الإنسانية ثم وجهت بطريقة غير مباشرة للفكر للنظر في الكون والوجود بكل أبعاده النفسية والاجتماعية والحضارية والأدبية واللغوية ))(٢).

أما بخصوص ظهور مصطلح التداولية في العالم الغربي وانتشاره بين اللغويين فيشير الدرس في هذا الشأن إلى أَنَّ أول مؤسسي العرب الدرس التداولي في العصر الحديث الدكتور (طه عبد الرحمن) وذلك بوضعه مصطلح التداولية مقابل مصطلح الأجنبي المترجم pragmatics وذلك في عام ١٩٧٠م (٣).

---

(١) التداولية عند العلماء العرب: ٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ٢٣.

(٣) الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث ١١.

**أهم موضوعاتها:**

**الإشاريات:**

أصبحت الإشاريات مجالًا مشتركًا بين علم الدلالة والتداولية، وإن كان بعض الباحثين لايزال يراها أدخل في التداولية منها من علم الدلالة[١]، وعليه تكون ((الإشاريات هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التغيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التغيرات الإشارية البعيدة عنه))[٢].

إذ تجتمع في الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشاريات هي: (الأنا، الهنا الآن).

سوف نوجز القول في أنواعها الخمسة:

**أ) الإشاريات الشخصية:**

والمقصود بها الضمائر الشخصية الدالة على المتكلم وحده مثل أنا أو المتكلم ومعنى غيره مثل نحن، والضمائر الدالة على المخاطب مفردًا أو مثنًى أو جمعًا، مذكرًا أو مؤنثا وضمائر الحاضر هي دائما عناصر إشارية، لأن مرجعها يعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تستعمل فيه[٣].

**ب) الاشاريات الزمانية**

لحظة التلفظ هي المرجع، ولهذا يجب أن نربط الزمن بالفعل ربطا قويا في مرحلة أولى، ونربط، كذلك، بين الزمن الفاعل، لأهميته الكبرى، في مرحلة ثانية، أو هي كلمات تدل على الزمن يحدده السياق بالقياس إلى زمن التكلم فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ فقولك مثلا بعد أسبوع يختلف مرجعها إذا قلتها اليوم أو

---

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي: ١٧.

(٢) ينظر استراتيجيات الخطاب (المقاربةاللغوية التداولية): ٨١.

(٣) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي ١٧-١٨.

قلتها بعد شهر أو بعد سنة وكذلك إذا قلت نلتقي الساعة العاشرة فزمان التكلم وسياقه هما اللذان يحددان المقصود بالساعة العاشرة صباحا أو مساءً من هذا اليوم أو من يوم يليه(١).

**ج) الإشاريات المكانية:**

وهي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربًا أو بعدًا أو جهة(٢).

إن الشيء الذي يحدد المكان (القرب، البعد الخلف الأمام...) هو وضعية المتكلم في لحظة الحديث، وكذا إشارته، يقول: تتحدد المبهمات المكانية بوضعية المتكلم، وضعية الجسدية إضافة إشارته))(٣).

**د) الإشاريات الاجتماعية:**

وهي ألفاظ وتركيب تشير إلى العلاقات الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة ألفة ومودة يدخل فيها كصيغ التبجيل في المخاطبة من هم أكبر سنا ومقاما من المتكلم كاستخدام أنتم في اللغة العربية للمفرد المخاطب ونحن للمفرد المعظم نفسه مثل: فخامة الرئيس الأمام الأكبر وربما وجدنا ضلالًا الإشاريات الاجتماعية في دلالة استخدام بعض الألفاظ في طبقة اجتماعية بعينها مثل ذلك في العربية استعمال حامل وحبلى... الخ(٤).

وظاهرة أن الإشاريات الاجتماعية من المجالات المشتركة بين التداولية وعلم اللغة الاجتماعي(٥).

---

(١) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي: ١٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢١.

(٣) ينظر: مقدمة في اللسانيات المعرفية: حمو الحاج: ١١٣.

(٤) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي: ٢٥.

(٥) المصدر نفسه: ٢٦.

**هـ) الإشاريات الخطابية:**

قد تلتبس إشاريات الخطاب بالإحالة إلى السابق أو لاحق، ولذلك أسقطها بعض الباحثين من الإشاريات، ولكن منهم من ميز بين نوعين فرأى أن الإحالة يتحدد فيها المرجع بين ضمير الإحالة وما يحيل إليه مثل: زيد كريم وهو ابن كرام أيضا: فالمرجع الذي يعود إليه زيد وهو واحد، أمَّا إشاريات الخطاب فهي لا تحيل إلى ذات المرجع، بل تخلق المرجع فإذا كنت تروى قصة ثم ذكرنك بقصة أخرى فقد تشير إليها، تتوقف قائلا: لكن تلك قصة أخرى، فالإشارة هنا إلى مرجع جديد(١).

- أفعال الكلام:

(إن نشأة فكره أفعال الكلام) أو أفعال اللغة من أهم مبادئ الفلسفة اللغوية الحديثة مجال نشأة التداولية وتطورها، وتعني: أن الاستعمال اللغوي ليس ابراز منطوق لغوي فقط. بل إنجاز حدث اجتماعي معين في الوقت نفسه. وذلك بعدما كانت الفلسفة الوضعية المنطقية تشترط مقياسًا وحيدًا للحكم على دلالة جملة ما، وهو مقياس الصدق والكذب(٢).

اذن يمكن القول ان الفعل الكلامي نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أَنَّ كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي وإنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك، يعد نشاطا ماديا

الافتراض المسبق

المتكلم يوجه حديث للسامع على أساس مايفترض سلفًا أَنَّهُ معلوم، فمثلًا اذا قال الرجل (اغلق النافذة) يفترض سلفا ان (النافذة مفتوحة) وان هناك مسوغًا يدعو لإغلاقها(٣).

---

(١) ينظر: آفاق جديدة للبحث اللغوي: ٢٤.

(٢) ينظر: في اللسانيات التداولية: ٧٢.

(٣) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: ٣٠.

## الدارسون المحدثون في التداولية:

ازدادت عناية الغربيين بدراسة مختلف جوانب التواصل، بغض النظر عن تنوع أطرافه، وتعدد غاياته، واختلاف أساليبه ومرجعياته .وقد امتازوا بتركيزهم الدقيق على الاستعمالات الخاصة للغة، وفق نظريات تخضع لعمليات شاملة من الملاحظة والموازنة والتحليل، مما أكسبها صفة البناء التراكمي، في سياق موازٍ، بذل عدد من الباحثين العرب المعاصرين جهودًا كبيرة لدراسة البعد الاستعمالي للّغة، مستندين في ذلك إلى الأسس النظرية التي قدمتها الدراسات اللسانية الغربية .ونتيجة لهذا التوجه، شهدت أعمالهم تركيزًا ملحوظًا على عناصر التواصل المختلفة وأهداف المتحدثين بالإضافة إلى الظروف والمقام الذي يُلقي فيه الخطاب، وهو توجه يعكس أثر المناهج الغربية بصورة واضحة لا غموض فيها.

### أوّلًا: طه عبدالرحمن:

أستاذ المنطق وفلسفة اللغة بجامعة الرباط في المغرب، يعد بشهادة الباحثين أحد أبرز المفكرين العرب الذين أسهوا في تعريف الفكر التداولي وتطبيقه على جوانب من الثقافة العربية الإسلامية .انصب اهتمام طه عبد الرحمن على دراسة القضايا التداولية من منظور منطقي وفلسفي، مستفيدًا في ذلك من أدوات نظرية ومنهجية مستمدة من علمين أثبتا كفاءة كبيرة، وهما علم اللسانيات والمنطق(١).

سعى طه عبد الرحمن إلى التحرر من المعايير الأجنبية في توصيف الظواهر وإنتاج المعرفة. ويُعبر عن هذا الأمر بقوله إنه بذل جهدًا كبيرًا في الاعتماد على إمكانات اللغة العربية للتعبير والتواصل، واستخدم هذه الإمكانات في وضع الأسس النظرية لبحثه الشامل حول أصول الحوار وتجديد علم الكلام(٢).

---

(١) ينظر: اللسانيات العربيّة الحديثة، د مصطفى غلفان: ٢٤٩.

(٢) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،د طه عبدالرحمن: ٢٩.

كان الدافع الأساسي للرجل في هذا العمل يتمثل في طموحه لتخفيف العبء المتمثل في تعددية المصطلحات العلمية التي تواجه المتعلمين .فقد أشار إلى غلبة المنهجية الأجنبية، ولا سيما الفرنسية والإنجليزية، في وضع العرب لمصطلحاتهم العلمية وأطرهم الوصفية والتفسيرية .ويُلاحظ أن معظم الباحثين قد انخرطوا في اعتماد مباشر على المفاهيم الأجنبية، بشكل أدى إلى استيراد المصطلحات دون الوعي بأصولها النسبية وفائدتها المحدودة. وقد بلغ تأثير هذه المعايير الأجنبية درجة أفقدت اللغة العلمية صلتها بدلالاتها اللغوية الأصلية، مما جعل إنتاج الفكر العربي وتجديده محدودًا وغير فاعل .ركز الباحث كذلك على دراسة فروع اللغة العربية التي، برأيه، تحتاج إلى إعادة تقييم بناءً على رؤيته للسانيات وتقسيمها إلى ثلاثة فروع رئيسة على النحو الآتي:

١. الداليات: وهي الدراسات التي تختص بوصف الدال الطبيعي من حيث النطق والصور والعلاقات. وبهذا المفهوم تشمل الداليات أقسام اللسانيات الثلاثة المعروفة: الصوتيات، الصرفيات، والتركيبيات[١]:

٢. العلاقات الدلالية: وهي تهتم بتفسير الروابط القائمة بين الدوال الطبيعية ومدلولاتها، سواء أكانت تصورات ذهنية أم حقائق خارجية[٢]..

٣. التداوليات: وهي دراسة العلاقات التي تجمع بين الدوال الطبيعية، مدلولاتها، والمستخدمين لها .اعتمادًا على هذا التصور، اختار طه عبد الرحمن مصطلح (التداوليات) منذ عام ١٩٧٠ مكافئًا للمصطلح الغربي (براغماتيكا). وقد قسّم التداوليات إلى ثلاثة محاور هي: باب أغراض الكلام، باب مقاصد المتكلمين، وباب قواعد التخاطب. ولاقت فكرة التداوليات انتشارًا واسعًا بين الباحثين نظرًا لقدرتها على تغطية أبعاد (الاستعمال( و(التفاعل( معًا بصورة دقيقة وشاملة .يعود هذا المصطلح إلى الفعل (تداول(، الذي يعكس معاني التناقل بين الناس والتفاعل والتواصل فيما بينهم .وعليه

---

(١) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام،د طه عبدالرحمن: ٢٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٩.

يجمع مفهوم التداول بين الجانبين الأساسيين للتواصل :التفاعل والاستعمال .حدد طه عبد الرحمن التداوليات باعتبارها وصفًا لكل مظاهر التواصل والتفاعل القائم بين عامة الناس وخاصتهم في إطار الممارسة التراثية. ومضى في دراسته للتداوليات بنظرة عميقة وفكر إبداعي يسعى إلى النفاذ في عمق اللغة العربية ودلالاتها، متطلّعًا إلى تسليط الضوء مجددًا على الدراسات التراثية وقراءتها بطريقة جديدة تتميز بالخبرة والتمكن .وقد أطلق على هذا الإطار مصطلح (المجال التداولي)[١]، الذي عرفه بأنه كل نطاق زمني ومكاني يُمكّن من التواصل والتفاعل بين فاعلي التراث .واصل الدكتور طه رؤيته من خلال التحليل المستفيض لعلاقة التداوليات بالممارسة التراثية، مؤكدًا أن المجال التداولي هو فضاء مكاني وزماني يجمع بين عناصر التواصل والتفاعل الضرورية لفهم وإعادة قراءة التراث بما يحقق تناغمًا بين الماضي والحاضر[٢].

ويمضي الدكتور طه في دراسته للتداوليات بنظرات ثاقبة، وفكر مبدع، يسعى إِلى النفاذ إِلى العمق الدلالي للّغة العربيّة، وَأَنْ يعيد تسليط الضوء على الدراسات التراثية، ومحاولة قراءتها قراءة خبير متميّز متمكّن، في نطاق ما أسماه بالمجال التداولي، الذي عرّفه بقولهِ: ((كما أَنَّ المجال في سياق هذهِ الممارسة هو وصف لكُلّ ما كان نطاقًا مكانيًا وزمنيًا لحصول التواصل والتفاعل... هو إذن محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث))[٣].

وضع شروطًا للتداول اللّغوي يمكن تلخيصها على النحو الآتي[٤]:

**١. النطقية:**

التي يجب أَنْ تتماز بها كُلّ محاور حَصَّلَ تحصيلًا كافيًا صيغه الصرفية وقواعده النحوية، وأوجه دلالات ألفاظه وأساليبه في التعبير والتبليغ، ولهذا المنطوق شروط هي:

---

(١) ينظر: تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبدالرحمن: ٢٨٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٤، والدلاليات والتداوليات (أشكال وحدود)، طه عبدالرحمن، (بحث): ٢٩٩.

(٣) تجديد المنهج في تقويم التراث، طه عبدالرحمن: ٢٤٤.

(٤) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبدالرحمن: ٣٧-٣٨.

أ. ينبغي أن تظل الصورة اللفظية مترابطة مع دلالاتها ومضمونها، حيث إن ارتباطها بالمعتقدات والقيم والمقاصد يعزز من تأثيرها العميق على المتلقي.

ب. ينبغي أن يتميز النص المنطوق بتعدد وظائفه وتداخل مستوياته، بحيث يتضمن تنوعًا في الأقوال، ويجمع بين التعبير عن القناعة والتوجه النقدي في آن واحد.

ت. أن يكون المنطوق ذا طابع عملي، تتداخل فيه الوقائع مع القيم، ويتكامل المعطى مع المبنى، إلى جانب انسجام المعنى مع المبنى.

**ث.** ينبغي أن يتم بناء الموضوعات بأسلوب تدريجي، بحيث تظل مفتوحة على الدوام للتطوير والمراجعة. يعود ذلك إلى أن الموضوعات تتغير وتتطور ضمن نطاقات دلالية متعددة؛ حيث تنتقل من الإيجاز إلى التفصيل، ومن الغموض إلى الإيضاح، ومن الخفاء إلى الوضوح.

**٢. الاجتماعية:**

ينماز الحوار بين الطرفين ببعده الاجتماعي؛ فالمحاور يُطلِع محاورَهُ على ما يعتقد وما يعرف، ويطلب منهُ أَنْ يتفاعل معه تفاعلًا يزيد البُعد الاجتماعي رسوخًا؛ فالحوارية تقوم على مبدأ التعاون.

**٣. الإقناعية:**

إنَّ مطالبة المتحاور بأن يشارك الآخرين معتقداته لا تنطوي على أي شكل من أشكال الإكراه؛ بل ترتكز أساسًا على الإقناع وإبداء الحجة التي تدعم وجهة نظره.

**ثانياً: محمد محمد يونس:**

يُعَدُّ من الباحثين المختصين بالمناهج التخاطبية في علم الأصول، متبعًا في مناقشة تلك المناهج النظرية التداولية التي تُعنى بمسألتي اللّغة والتخاطب، من أشهر مؤلفاته في هذا المجال كتاب: (علم التخاطب الإسلامي، دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النصّ)، يرمي الكتاب إلى: ((صوغ الأصول والنظريات اللّغوية التي تبعثرت أجزاؤها وفروعها في كتب الأصول، وغاب عنها السياق النظري الشمولي،

والإطار العام الذي يوجّه، ويفسّر تلك الأجزاء والفروع، وقد تطلب صوغ تلك الأصول قراءة معمقة ودقيقة للأصول الفلسفية الوجودية منها المعرفية التي تنبثق عنها النظريات اللّغوية للأصوليين))[١].

إِنَّ ثمرة التلاقح بين دراسات الأصوليين والدراسات اللسانية، علم جديد آثر الباحث أَنْ يسميه بـ(علم التخاطب الإسلامي)، الذي يقابل في اللسانيات الغربية الحديثة بمصطلح (Pragmatics)[٢].

إِنَّ الغاية من علم التخاطب – بحسب رأي الباحث – هي معرفة كيفية حدوث التفاهم بين المتخاطبين، وتشمل مسائله كُلّ العناصر التي تُسهم في إحداث التخاطب من وضع واستعمال وقرائن وأنواع الدلالة المختلفة، والنظريات الدلالية ذات الصلة بالاستعمال والسياق، ويبحث هذا العلم – علم التخاطب – في فقه اللّغة، والصرف، والنحو، والبلاغة، واللسانيات، وتحليل الخطاب والنصّ، وعلم الأصول، وعلم التفسير، وعلم الحديث، والمنطق، والفلسفة، وما أشبه[٣].

ومن أَبرز الأسباب التي أدتْ إِلى نشأة علم التخاطب الإسلامي ما يأتي[٤]:

- تنماز دراسات علماء الأصول بضخامة المادة العلميّة المتعلقة بالمسائل اللّغوية والتخاطبية؛ ما نتجَ عنهُ تراكم علميّ ومعرفي؛ فكان لزامًا أَنْ يستقل هذا العلم بذاته.
- لا يقتصر هذا العلم على الحاجة الأصولية فحسب؛ بل يشمل أيضًا النصوص القانونية، والمعاهدات السياسية، والاتفاقات الاقتصادية، وأنواع الخطاب المختلفة،

---

(١) علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النصّ، محمد محمد يونس علي: ٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٨

(٣) المصدر نفسه: ٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٩.

التي تستدعي معرفة الطرائق الموصلة إلى تخاطب ناجح، وتحليل سليم للخطاب، فضلًا عن الدراسات اللّغوية والبلاغية واللسانية.

- شيوع الفوضى في تحليل الخطاب والنص؛ إذ أصبح الحال مفتوحًا لكُلّ من هبَّ ودبَّ لاقتحام الموضوع.
- عدم وجود مجال مستقل في العلوم العربيّة يبحث مسائل هذا الحقل المعرفي.

لا ريب أَنَّ الغاية الأساسيّة لعلم الأصول هي بلوغ تفسير سليم لمراد الله تعالى ورسوله (ﷺ)؛ فالفهم السليم للكلام لا يقاس بفهم معنى الجملة فقط؛ بل بالإدراك السليم لمراد المتكلم منهُ، وَأَنْ يتجاوز المتخاطبون في تعاملاتهم المعنى الظاهري للكلام؛ وهو ما حذا بالأصوليين أَنْ يولوا التخاطب غير المباشر عنايتهم، وهو الذي ابتعث الباحث إِلى التركيز عليه(١).

تتناول الدّراسة التي قام بها محمد محمد يونس علي منهجين للتخاطب هما(٢): منهج جمهور الأصوليين، والمنهج السلفي، مع التركيز على المنهج الأكثر تعقيدًا وهو منهج الجمهور، ثم تناول التفريق بين الوضع والاستعمال، وهو المفتاح لخوض غمار المناهج الأصولية؛ فيفسّر الكلام الذي يستعمله متكلم ما بالرجوع إلى فكرتي الوضع والاستعمال، ثم بحث موضوع الحمل بوصفه المكون الثالث لأنموذج الجمهور، بوساطة شرح خمسة أصول تخاطبية، وهي: البيان، والصدق، والإعمال، والتبادر، والاستصحاب، وكان الفصل الرابع من الكتاب مخصصًا لأنموذج التخاطب عند السلفيين، مِمَّا أسماهُ بـ(نظرية العمل السياسي عند ابن تيمية)، التي تنطوي على نظريات ابن تيمية في نسبية الإدراك، ونظرية الحدّ السياقية، وآراءه في اللّغة، والإفادة والتفريق بين الوضع والاستعمال، وبين المعنى والمراد، وبين الحقيقة والمجاز، في حين

---

(١) علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النصّ، محمد محمد يونس علي: ٢٨-٢٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٨-٤٠.

خُصِصَ الفصل الأخير لنوعين من التصنيف الدلالي: التصنيف العلامي، والتصنيف النصّي، ويشتمل التصنيف العلامي على: الدلالة الطبيعية، والدلالة العقلية، والدلالة الوضعية (المقسمة على: دلالة مطابقة، ودلالة تضمن، ودلالة التزام)، أَمَّا التصنيف النصّي فيحتوي على طريقتين: طريقة الأحناف، وطريقة الشافعية، التي تقتضي بتقسيم الدلالة على: دلالة الاقتضاء، ودلالة الإشارة، ودلالة التنبيه والإيماء، ودلالة المفهوم، ومفهوم الموافقة الذي يقربه الأحناف، ومفهوم المخالفة الذي ينكرون حجيته.

وتوصل الباحث في ختام دراسته إِلى مجموعة من النتائج البارزة، ورأى أَنَّ هناك الكثير من العمل الذي ينبغي القيام به لبلوغ تقويم دقيق لنماذج التخاطب النصّي التداولي عند علماء الأصول(١).

محصول الحديث، أَنَّ هؤلاء الباحثين يمثلون طائفة سلكت طريقًا إِلى البحوث التداولية، وما كان ذكرهم ادعاء لحصر التداولية – في الوطن العربيّ – فيهم وقصرها عليهم؛ فلولا خشية تضخيم البحث؛ لسيقت زمر منهم، أَمّا والغاية هي الإشارة إِلى النماذج التداولية في الدراسات العربيّة لا غير؛ ففي المذكور غنى وفضل بيان، ولاسِيَّمَا أَنَّ هذهِ النماذج تتفاوت فيما بينها قوّة وضعفًا، وتتمايز مكانًا وزمانًا.

وفي ختام هذا المبحث يمكننا رصد أَبرز النتائج المتوصل إليها، وهي مركوزة في النقاط الآتية:

- من رحم الفلسفة التحليلية وتحديدًا فلسفة اللّغة العادية، بدأَت العناية بمقاصد المتكلمين وباستعمالات اللّغة، وبدأت بذلك المقاربة التداولية تسلك طريقها نحو النمو والازدهار.
- كانت أعمال فلاسفة أكسفورد بمنزلة إرهاصات لما يعرف اليوم بمحاور التداولية.

---

(١) علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النصّ، محمد محمد يونس علي: ٢٩٣-٣٠٥.

- مصطلح التداولية مصطلح فضفاض حَمِلَ أوجه اختلف الدارسون في تحديد ماهيته، وضبط حدوده، وبيان أقسامه، فضلًا عن التمثيل لَهُ، تبعًا لما يصدرون عنه من مناهج مختلفة.
- قوام الدّرس التداولي مجموعة من الأدوات الإجرائية التي يمارس بها المتخاطبون طقوس التواصل، الذي لن يحقق الهدف المرجو منهُ إلَّا إذا ارتاد آفاق الفعل والممارسة؛ لذلك اعتمد الدّرس التداولي على شبكة تحليل معاصرة، تعتمد مفاهيم من قبيل الأفعال الكلامية، والافتراض المسبق، ونظرية الملاءمة، والاستلزام التخاطبي.
- كانت أبحاث أوستين في (أفعال الكلام) منطلقًا جديدًا للكثير من اللسانيين الذين جاؤوا بعده، كسيرل، وأزوالد ديكرو، وجرايس، الذين طوروا هذهِ النظرية وأضافوا عليها أبعادًا جديدةً.
- سعى سيرل إلى بناء نظرية مكتملة الأواصر، منتظمة في أفعال الكلام، تقوم على فكرة أَنَّ الكلام محكوم بقواعد مقصدية، مستعينًا بجهود من سبقه؛ فقام بتعديل تقسيم أوستين للأفعال الكلامية.
- التفت سيرل إلى نوع آخر من الأفعال الكلامية غير المباشرة، ترتبط بما يسمى بـ(الاستلزام التخاطبي).
- تتصدر الافتراضات المسبقة مكانة قصوى في عمليّة التواصل؛ فهي تتيح لنا إمكانية توضيح بعض علاقات التضمين بين جمل النصّ.
- عُرف مصطلح (Pragmatics) في الدراسات العربيّة الحديثة بعدّة ترجمات؛ ما يكرس الفوضى المصطلحية التي تعرفها الساحة العربيّة، والتي لا تخدم بأي حال من الأحوال الدّرس اللّغوي العربيّ.
- تتفاوت الدراسات التداولية العربيّة فيما بينها قوّة وضعًا؛ فبعضها لا يتجاوز حدود الترجمة الحرفية للدراسات الغربية، وبعضها قوامه الترجمة، والخلط أَحيانًا

بين المصطلحات؛ ما يوقع القارئ في مزالق تلك الترجمات المتعددة، في حين تتراءى ثلة من الباحثين ممن تستفرغ الجهد في سبيل العناية بالبُعد التداولي للّغة وتأصيله؛ فاتسمت كتاباتهم المزاوجة بين التراث والمعاصرة.

**ثالثاً**: **مسعود صحراوي**:

يُعَدُّ إسهامات هذا الباحث مصدر إعجاب وتقدير واسع من قِبل معظم الباحثين المتخصصين في مجال التداوليات المعاصرة، وقد عَدَّ الدكتور عيد محمد بلبع كتابه المعنون بـ (التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربيّ)، عملًا بالغ الأهمية يستحق اهتمامًا علميًا عميقًا ومتميزًا[١]؛ تمكن الباحث من خلال دراسته الوصول إلى تحديد مفهوم التداولية بوصفها علمًا ليس محصورًا في إطار علم اللغة التقليدي الذي يقتصر على وصف وتفسير البنى اللغوية ويقف عند حدودها الظاهرية وشكلها الخارجي .بل إن التداولية تمثل علمًا حديثًا يتناول ظواهر اللغة في سياق استخدامها، ويسعى إلى دمج مشاريع معرفية متعددة بهدف تحليل وتفسير ظاهرة التواصل اللغوي بصورة أكثر عمقًا وشمولًا[٢].

أدرك الباحث بفهمه العميق أن التداولية تُعد مصطلحًا واسعًا متعدد الدلالات، ويكفي إثباتًا لذلك تباين اجتهادات الباحثين في تحديد ماهيتها .وقد انطلق مسعود صحراوي من هذه النقطة، مشيرًا منذ البداية إلى تشابك التداولية مع عدد من العلوم والمجالات المعرفية .فهو يرى أن التداولية تمثل رابطًا جوهريًا بين عدة حقول معرفية، ومنها الفلسفة التحليلية التي تظهر في فلسفة اللغة العادية، وعلم النفس المعرفي المتمثل

---

(١) ينظر: التداولية إشكاليات المفاهيم بين السياقين الغربي والعربي، د.عيد بلبع: ٤٢.

(٢) ينظر: التداولية عند علماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربيّ، الدكتور مسعود صحراوي: ١٦.

بشكل خاص في نظرية الملاءمة (Théorie de pertinence)، فضلًا عن علم التواصل واللسانيات بطبيعتها(١).

التداخل بين التداولية ومجموعة من العلوم والمعارف دفع الباحث إلى طرح تساؤلات حول المعيار الذي يمكن أن يكون أساسًا لتحديد مفهوم التداولية .وتوصل في النهاية إلى أن تحديد مفهوم التداولية استنادًا فقط إلى البنية اللغوية أو على وفق الاستخدام اللغوي وحده يظل موضوعًا قابلًا للنقاش، إذ أن الاكتفاء بمثل هذا التعريف لن يقدم إطارًا شاملًا لهذا المصطلح .وخلص الباحث إلى مفهوم مبني على ارتباط البنية اللغوية بمجال استخدامها، مع مراعاة شبكة العلاقات التي تربط هذا المفهوم بمجالات متنوعة مثل الفلسفة، علم النفس المعرفي، وعلوم الاتصال(٢).

ومن المحامد التي تُذكر للباحث تطبيقه للمفهوم التداولي على اللّغة العربيّة؛ الأمر الذي من شأنه أَنْ يُسهم في وصفها، ورصد خصائصها، وتفسير ظواهرها الخطابية؛ فبحثَ في ظاهرة الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربيّ؛ انطلاقًا من اعتقاده أَنَّ البحث في هذا المجال ((سيسهم في اكتشاف وتثمين جوانب من الجهود الجبارة التي بذلها أُولئك العلماء الإجلاء))(٣)، وله كتاب بعنوان: (التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربيّ)، الذي يُعَدُّ في ظاهرهِ ومضمونهِ قريبًا من أطروحة الدكتوراه، التي أنجزها، ويهدف الباحث بوساطة هذا المُؤلَف إلى ما يأتي(٤):

١. إنّ التراث العربي يُعدّ من أكثر الكنوز الثقافية قيمة وأهمية، حيث إن الإنجازات التي حققها العلماء العرب القدماء في مختلف المجالات وتنوع توجهاتهم تشكّل

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٦.

(٣) الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربيّ، مسعود صحراوي: أ.

(٤) ينظر: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربيّ، د.مسعود صحراوي: ١١-١٢.

حضورًا بارزًا وعظيمًا يقف بثبات وشموخ أمام المخرجات التي توصلت إليها الدراسات التداولية الحديثة في تناول هذه الظاهرة.

٢. تهدف هذه الدراسة إلى تعريف القراء بشكل عام، والمتخصصين بشكل خاص، بمشاركة متواضعة تندرج في ضمن إطار الجهود الرامية إلى تقديم قراءة جديدة لهذه النظرية، وذلك بهدف إثراء الفهم وتعميق النقاش حول مضامينها ومرتكزاتها.

**ثالثاً: عبدالهادي بن ظافر الشهري:**

يرى الدكتور عبدالهادي بن ظافر الشهري أَنَّ للمنظور التداولي وظيفتين مهمتين، ترتبطان بمقاصد الإنسان الذي يستعملها، وبوضعهِ الاجتماعي وأهدافه، وهما[١]:

١. **الوظيفة التعاملية:** إِنَّ قيمة الاستعمال اللّغوي تبرز بين المخاطب والمتلقي.

٢. **الوظيفة التفاعلية:** وتتمثل في قدر كبير من المعاملات اليومية التي تحدث بين أبناء الجماعة اللّغوية.

انطلاقًا من هذهِ الوظائف أورد الباحث التعريفات المختلفة للتداولية التي لاحظ أَنَّها تخلف بناءً على مجال عناية كُلّ باحث؛ ليتبنى في الأخير التعريف الذي يجعل التداولية دراسة أثر السياق في بنية الخطاب، ومرجع رموزه اللّغوية ومعناه، كذلك يقصد المرسل[٢] تمكن أهمية الدّرس التداولي عند هذا الباحث من جهة كونه دراسة للمنجز اللّغوي في إطار التواصل من غير إهمال لمدى تأثير السياق في نظام الخطاب المنجز[٣].

إن النتائج التي توصل إليها الباحث خلال دراسته للمنهج التداولي في إطار كتاب (إستراتيجية الخطاب) لا بُدّ أَنْ تُعنى بعناية دقيقة؛ فقد سعى الباحث إلى استكشاف

---

(١) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: ٤.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣.

مقاربات غنية ومتنوعة موجودة في التراث العربي، على اختلاف تخصصاته في مجالات اللغة والبلاغة والمنطق وغيرها، والتي لا تقل أهمية عن الاكتشافات التي حققها الغرب في هذا المجال، وهو ما يُجْمِع الباحثون بشكل متكرر على التأكيد عليه؛ ((فالواضح أَنَّ النّحاة والبلاغيين لم يغفلوا فيما أقاموه عن التمثيل للبُعد التداولي للّغة، كما لم يقفوا فيما استنبطوه عند حدود الأشكال اللّغوية فقط؛ بل تجاوزوا الألفاظ إلى المعاني؛ فكانوا بها أعنى وأشد اتصالًا))[١]؛ فقد اعتنى الأصوليون بآليات المنهج التداولي في خطابات متنوعة ذات سياقات مختلفة؛ كانت دراساتهم ((من أَبرز الدراسات القديمة التي عالجت بعض جوانب المنهج التداولي، مثل: ما يتعلّق بإنتاج المعنى، وتأويله، وشروط ترجيح معنى على معنى آخر، كما في دراسات الشاطبي في الموافقات، والغزالي في المستصفى، والقرافي في التنقيح، ومن نحا نحوهم، ومن جانب آخر تُعدُّ أعمال الفقهاء من الأعمال التي لامست بعضًا مِمَّا يندرج في الإطار التداولي، ومن ذلك ما ورد عن ابن تيمية في الفتاوى، وابن القيم الجوزية في أعلام الموقعين، وغيرهم كُثر؛ فقد تَمَّ التركيز لديهم على بعض الجوانب في الأبواب التي تعالج المعاملات والعقود))[٢].

أسهم الفقهاء في الخطاب وتحليله تداوليًا؛ من أَجل خدمة الأحكام الشرعية، والتقعيد لها، وكان للمحدثين إسهام في الكتابة والتأليف التي رتبت الدراسات التراثية العربيّة والنظريات الغربية وجهود الدكتور طه عبدالرحمن والدكتور يونس علي وغيرهم، مشكورة في هذا الشأن، كذلك دراسات الدكتور أحمد المتوكل، الذي نَظَّرَ للنحو الوظيفي، وجمع بين الدراسات القديمة والحديثة، ولم يبخس التراث العربيّ حقه؛ فكانت

(١) التراكيب النحوية العربيّة في ضوء التحليل الوظيفي، صلاح الدِّين ملاوي: ٢٠٣.

(٢) إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري: ١١.

انطلاقته من النحو العربيّ القديم، فضلًا عن إسهام دراسات الدكتور محمد العميري وغيره في الدراسات البلاغية(١).

وفي ختام هذا المبحث يمكننا رصد أَبرز النتائج المتوصل إليها، وهي مركوزة في النقاط الآتية:

- من رحم الفلسفة التحليلية وتحديدًا فلسفة اللّغة العادية، بدأَت العناية بمقاصد المتكلمين وباستعمالات اللّغة، وبدأت بذلك المقاربة التداولية تسلك طريقها نحو النمو والازدهار.
- كانت أعمال فلاسفة أكسفورد بمنزلة إرهاصات لما يعرف اليوم بمحاور التداولية.
- مصطلح التداولية مصطلح فضفاض حَمِلَ أوجه اختلف الدارسون في تحديد ماهيته، وضبط حدوده، وبيان أقسامه، فضلًا عن التمثيل لَهُ، تبعًا لما يصدرون عنه من مناهج مختلفة.
- قوام الدّرس التداولي مجموعة من الأدوات الإجرائية التي يمارس بها المتخاطبون طقوس التواصل، الذي لن يحقق الهدف المرجو منهُ إِلَّا إذا ارتاد آفاق الفعل والممارسة؛ لذلك اعتمد الدّرس التداولي على شبكة تحليل معاصرة، تعتمد مفاهيم من قبيل الأفعال الكلامية، والافتراض المسبق، ونظرية الملاءمة، والاستلزام التخاطبي.
- كانت أبحاث أوستين في (أفعال الكلام) منطلقًا جديدًا للكثير من اللسانيين الذين جاؤوا بعده، كسيرل، وأزوالد ديكرو، وجرايس، الذين طوروا هذهِ النظرية وأضافوا عليها أبعادًا جديدةً.
- سعى سيرل إلى بناء نظرية مكتملة الأواصر، منتظمة في أفعال الكلام، تقوم على فكرة أَنَّ الكلام محكوم بقواعد مقصدية، مستعينًا بجهود من سبقه؛ فقام بتعديل تقسيم أوستين للأفعال الكلامية.

---

(١) ينظر: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري: ١١-١٢.

- التفت سيرل إلى نوع آخر من الأفعال الكلامية غير المباشرة، ترتبط بما يسمى بـ(الاستلزام التخاطبي).
- تتصدر الافتراضات المسبقة مكانة قصوى في عمليّة التواصل؛ فهي تتيح لنا إمكانية توضيح بعض علاقات التضمين بين جمل النصّ.
- عُرف مصطلح (Pragmatics) في الدراسات العربيّة الحديثة بعدّة ترجمات؛ ما يكرس الفوضى المصطلحية التي تعرفها الساحة العربيّة، والتي لا تخدم بأي حال من الأحوال الدّرس اللّغوي العربيّ.
- تتفاوت الدراسات التداولية العربيّة فيما بينها قوّة وضعًا؛ فبعضها لا يتجاوز حدود الترجمة الحرفية للدراسات الغربية، وبعضها قوامه الترجمة، والخلط أَحيانًا بين المصطلحات؛ ما يوقع القارئ في مزالق تلك الترجمات المتعددة، في حين تتراءى ثلة من الباحثين ممن تستفرغ الجهد في سبيل العناية بالبُعد التداولي للّغة وتأصيله؛ فاتسمت كتاباتهم المزاوجة بين التراث والمعاصرة.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University of Diyala
College of Education for
Humanities
Department of Arabic
Postgraduate Studies

# Al-Buhturi's Poetry: A Linguistic Study

**the Council of the College A Dissertation Submitted to of Education for Human Sciences / University of Diyala in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature**

**By**
**Nadia Hussein Hameed**

**Supervised by**
**Prof. Dr. Mohammed Saleh Yaseen (P.h.D)**

**2026 A.D.** **1447 A.H.**

## Abstract

Based on this foundation, I submitted my dissertation entitled *Pragmatic Dimensions in the Poetry of al-Buhturi*. The study is divided into three chapters, preceded by an introduction and a preface, and followed by a conclusion that presents the main findings.

In the preface, I addressed the definition of pragmatics, its main domains, and the contributions of some Arab scholars in this field.

- **Chapter One**, which is entitled *Speech Acts and Conversational Implicature in the Poetry of al-Buhturi*, is divided into four sections:
    1. The Theory of Speech Acts in Western Scholarship
    2. Interrogatives
    3. Expressions
    4. Conversational Implicature

- **Chapter Two**, that is entitled *Aspects of Linguistic Argumentation*, is divided into three sections:
    1. The Concept of Argumentation and Argumentative Relations
    2. Mechanisms of Argumentation and Argumentative Connectives
    3. The Relationship between Argumentation and Poetic Purpose

- **Chapter Three**, which is entitled *Morphological and Syntactic Issues in the Poetry of al-Buhturi*, is divided into two sections:
    1. Morphological Issues in the Poetry of al-Buhturi.
    2. Syntactic Issues in the Poetry of al-Buhturi.